

4- كيف ننمي التعبير الشفوي عند الطفل؟

النموذج الأولي : سلوك الأم



عندما يصل الطفل لأول مرة إلى المؤسسة ما قبل المدرسية يكون، في الغالب، قد تعلم الكلام في البيت. فكيف تمكن الوسط العائلي، وخصوصا الأم، من تعليم الطفل الكلام؟

إن تصرف الأم إزاء طفلها الذي لم يتكلم بعد جدير بالتنقيب، والملاحظة، لأنه غني بمعلومات قد تفيد كل مربّي عازم على تنمية التعبير الشفوي لدى الأطفال.

هكذا، يلاحظ كثير من الباحثين أن الأم تتصرف مع ابنها بطرق تلقائية وجد ملائمة لسنه، بحيث يكون كلامها معه أكثر ببطء لتيسير استيعابه عبر ألفاظ بسيطة. وتحرص بالخصوص على إعادة صياغة ما ينطق به صغيرها لتجعله أكثر وضوحا ودقة، وعلى تمديده ليحمل معلومات إضافية. فمثلا عندما يقتصر الطفل على ذكر : " بابا خرج"، تجيب هي " نعم أبوك خرج، ذهب إلى عمله وسيعود بعد قليل". يجد الطفل في هذا التمديد بالطبع ما يضيفه إلى رصيده اللغوي، الأمر الذي يمكنه بالتدريج من إعادة استعماله في ظروف تعبيرية أخرى.

لا يخفى على أحد أن الطفل يكون داخل بيئته، ومع أمه في علاقة تبادل وحب وحنان تبعث فيه رغبة التواصل مع عناصر هذا المحيط. وتخلق هذه الرغبة لديه الحافز القوي للتخاطب، ولكنها لا تكفي ولا تشفي كل الغليل. وحتى يستمر الطفل في تعلم اللغة داخل المؤسسة، لابد أن يسلك المربي هو أيضا الطريق الموصوف سابقا، ألا وهو التحدث مع الطفل بلغة بسيطة والتلفظ بإيقاع بطيء، ثم إعادة صياغة كلام الطفل بكيفية سليمة وأكثر وضوحا، مع إثراء منطوق الطفل بأشياء مناسبة جديدة، وسهولة التناول.

بعض الوضعيات التي تشجع الطفل على التعبير الشفوي في المؤسسة ما قبل المدرسية

لقد تمت الإشارة إلى أن الطفل نادرا ما يتناول الكلام للإجابة عن سؤال أو للاستجابة لطلب صادر عن الراشد. فكيف يمكن عمليا إثارة هذا الطفل، ودفعه إلى التعبير داخل المؤسسة ما قبل المدرسية؟

أ- الحوار الحر

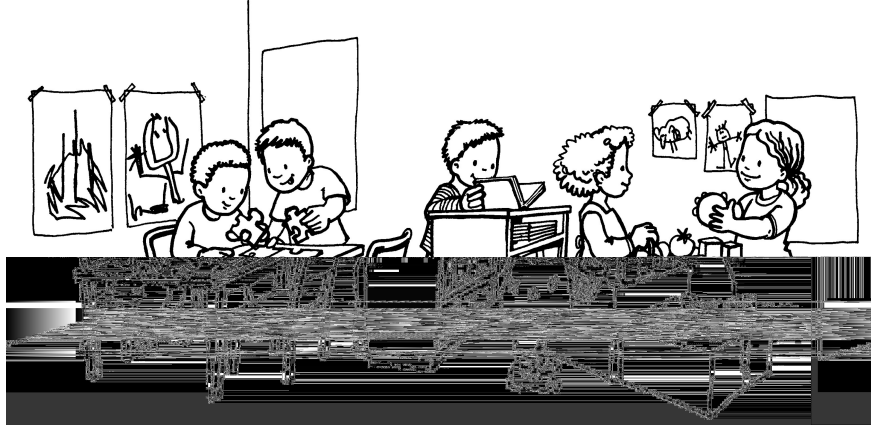


غالبا ما يلجأ المربي، في مستهل كل فترة صباحية، إلى تنظيم حصة خاصة بـ "التعبير الحر" لجعل الأطفال يتكلمون بتلقائية داخل المجموعة الكبيرة فيطلب منهم سرد ما قاموا به بالأمس أو خلال عطلتهم. إلا أنه يلاحظ أن القلة القليلة منهم هي التي تتناول الكلمة (نفس الأطفال في معظم الأحيان)، وأن ما تحكيه هذه القلة لا يخرج عن نطاق نسج الخيال، بحكم أن الطفل في هذه السن لا يزال عرضة لرغباته وخياله.

إننا لا نقصد إلغاء حصص "الحوار الحر"، لأنها على الأقل تمكن الأطفال المنطوين على أنفسهم من الاستماع والتفكير داخل المجموعة الكبيرة. كما أنها تساعد على إثارة اهتمام أطفال القسم كله بالأنشطة المشتركة. ولكن نحث المربي على أن يعي كل الوعي بكل الجوانب البداغوجية والتربوية لفترة "التعبير الحر" حتى لا يستأثر الأطفال المحتكرون للكلام بكل اهتمامه، والحرص على عدم إغفال الأطفال الذين لا يتكلمون كثيرا، والعمل على تشجيعهم بصفة خاصة على التعبير.

وبموازاة ذلك، لابد من تحضير أنشطة أخرى تهدف إلى تفجير طاقات الطفل التعبيرية. وفيما يلي بعض الأمثلة :

ب- الألعاب الحرة



عندما نشاهد الطفل وهو يمارس تلقائيا نشاطا ما، نلاحظ أنه يرافق نشاطه، وألعابه دائما بكلام تلقائي يفوه به. فمثلا خلال اللعب الحر داخل الأركان المخصصة في القسم لهذا الغرض، نرى الطفل في معظم الأوقات يقلد حركات الراشد، ونسمعه يردد الكلام الذي قد ينطق به هذا الأخير في مثل هذا الوضع.



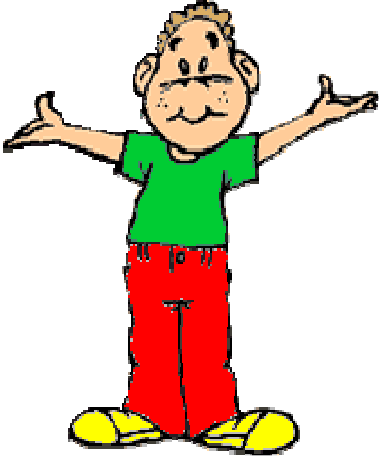
فالأنشطة التربوية الممارسة في ركن الدكان، وركن الدمى، وركن المطبخ، وركن المسرح حيث تتوفر ملابس التنكر، تخدم بصفة خاصة أنشطة التقليد التي تشجع كثيرا الطفل على التعبير الشفوي، والتواصل مع أقرانه.

ج- المشاريع التربوية

عندما يكون الطفل منهمكا في إنجاز مشروع تربوي (صنع ألعاب، أقنعة، إلصاق...) وتواجهه بعض الصعوبات، فإنه سيستعين بالمربي. ومن أجل التماس العون، يتحتم عليه استعمال لغة مناسبة، مفهومة ودقيقة حتى يتمكن من حل المشاكل التي تعترض سبيله (لا بد له أن يعرف مثلا اسم اللون الذي يريد استعماله في رسمه حتى يطلبه من المربي). وتوفر هذه الوضعيات للمربي فرصة لتشجيع الطفل على التعبير بوضوح عما يريده ومساعدته على تحقيق هدفه. ولعله من نافلة القول التذكير بأن تشجيع الطفل في سن ما قبل التمدرس على استخدام اللغة استخداما ملائما وفعالا يساعده على الخروج من دائرة التمرکز حول الذات، وعلى تجاوز

الإفراط في الذاتية التي تطبع هذا السن. ويجدر التأكيد هنا على أن هذا التطور رهين بآتاحة الفرص المتعددة التي تمكن الأطفال من أخذ المبادرة، ومن ممارسة أنشطة عملية جد ملموسة.

د- التجارب المباشرة



يمكن أيضا مساعدة الأطفال على تنمية لغتهم إذا نحن وفرنا لهم فرصا كثيرة **لإجراء تجارب مباشرة** : فجولة إلى أقرب سوق، أو زيارة مستوصف، أو خياط، أو خرفي، كلها مناسبات ممتازة تشجع الأطفال على الكلام، بحيث لا يتوانون في طرح أسئلة على الراشد حول أسماء الأشياء، وكيفية استعمالها، وربما أثنيتها.

وبعد العودة إلى القسم، يمكنهم تبادل أطراف الحديث مع بعضهم البعض، ومع مربيهم، حول ما لاحظوه أو ما شاهدوه دون عناء كبير. لأنهم عاشوا كلهم نفس التجربة وتمكنوا، بتشجيعهم بالوسط وبمساعدة مربيهم، من اكتساب مفردات جديدة وغنية .

وتعتبر هذه التجربة الجماعية رصيذا لغويا مشتركا، بين جميع الأطفال، يختزنه كل واحد منهم، ويسهل استثماره لغويا، مقارنة مع ما قد يحكيه طفل لوحده، أو ما قد يستخرج من كتاب مدرسي. إن الطفل، في هذه السن، في حاجة ماسة لدعامات لتطوير وتنمية لغته وتفكيره على حد سواء.

هـ - أهمية العمل داخل مجموعات صغيرة

يستحسن أن تمارس كل الأنشطة التي تهدف إلى تنمية القدرات اللغوية للطفل داخل **مجموعة متركزة ينشطها المربي**، أكانت حصصا للحوار الحر بين الأطفال، أم مناقشات حول موضوع زيارة أو حكاية، أو حول مشروع مشترك أنجزوه في القسم. وكلما كان الأطفال صغار السن، كلما وجب تقليص عدد أفراد المجموعة (3 إلى 5 أفراد)، حفاظا على تلك العلاقة الانفرادية مع الأطفال، والضرورية للنمو اللغوي للطفل الصغير.



ويجب الحرص، عبر تناوب محكم يستغرق يوما أو أكثر، على أن يستفيد جميع أطفال القسم من هذه الفترات المتميزة من الحوار الانفرادي. هذا، دون حرمان الأطفال ذوي الصعوبات في التعبير من اهتمام خاص، وأولية في بعض الحالات.

التمرين



من أجل تكوين المجموعات، يستحسن جمع الأطفال الذين لهم نفس المستوى اللغوي تقريبا في نفس المجموعة، حتى لا يبقى الحوار حكرا على الذين يتقنون اللغة على حساب الآخرين.

وبطبيعة الحال، وكما تمت الإشارة إلى ذلك بالتفصيل في دليل "أسس التربية ما قبل المدرسية"، فإن تقسيم الفصل إلى ورشات ضروري لتطبيق عملي لهذا النمط التفريدي (individualisé) لتعلم اللغة.

و – العديات (comptines)، الألغاز (devinettes) والألعاب اللغوية

علاوة على هذه الوضعيات الواقعية التي تشد طاقة الأطفال، يمكن للمربي أن يبتكر وضعيات أخرى يلعب فيها الأطفال بالمفردات اللغوية كترديد العديات، أو ممارسة لعبة الألغاز والأحجيات، أو القيام داخل المجموعات أو الأركان بأنشطة حول الحرف أو حول جرد أسماء الحيوانات أو وسائل النقل الخ. وسوف يجد القارئ أمثلة من هذه الألعاب في الجزء الأخير من هذا الدليل.

يستمتع الأطفال كثيرا بحفظ وترديد العديات والأناشيد الموجودة بوفرة باللغتين العربية والفرنسية والأمازيغية. ويمكنهم هذا في نفس الوقت من اكتساب نوع من السلاسة في التعبير. فضلا عما قد يبتكره كل مربّي في قسمه، فتراثنا الثقافي الشعبي يزخر بالعديات، ويخترن ذخيرة هامة من الألغاز والأحجيات.



اللقاء

وفي الختام، يمكن القول بأن تحويل المؤسسة إلى ميدان للعيش، والنشاط، وتوفير **فرص للتجارب المشتركة** بين الأطفال، خارج المؤسسة كلما أمكن، مع برمجة أوقات للتبادل الانفرادي أو في مجموعات صغيرة، تعتبر كلها وسائل ملائمة لتنمية التعبير الشفوي لدى الطفل: الاستعمال الملائم و في وضعية ملموسة للغة الأم الشفوية يشكل القاعدة الصلبة التي سيعتمدها الطفل لاحقا لاكتساب اللغات الأخرى التي سيتعلمها الأطفال بالمدرسة الأساسية.

وحتى يتمكن المربي من القيام بهذا العمل على الوجه الأكمل، يتعين عليه أن يكون واعيا بسلوكاته ومواقفه، وبمختلف الأدوار التي يضطلع بها فيما يتعلق بتنمية وتطوير القدرات اللغوية للطفل.